المورد

مجلة تراثية نصف سنوية محكمة

المجلد الثالث والعشرون ـ العدد الثاني ـ ١٤١٦ هـ ـ ١٩٩٥م

WWW.ATTAWEEL.COM

١٩٩٥ | ٢

أسعد الحكيم محمد

تصدرها وزارة الثقافة والاعلام ـ دار الشؤون الثقافية العامة ـ جمهورية العراق

دراسة

انماط من الحصار على العراق

(١١٥٦هـ ، ١٧٤٣ م)

بقلم الباحث

عبد الجبار محمود السامرائي

عضو اتحاد المؤرخين العرب - بغداد

حصار الموصل وما جاورها

● خلال الفترة الممتدة بين السنوات (١٦٣٩ - ١٧٢٩ م) اضطربت أحوال الدولة الفارسية ، وتعرضت بلاد فارس الى غزو الافغان والروس ، كما شهدت صراعات داخلية خطيرة ، مهدت السبيل أمام العثمانيين ، لدفع التوسع العثماني الى أقصى مداه باتجاه الشرق[١] على أن هذا الوضع ، لم يستمر طويلا ، فقد استطاع قائد مغمور يدعى « نادر قلي » - الذي عرف فيما بعد بـ« نادر شاه » - أن يبعث الحياة في الدولة الفارسية الصفوية شبه الميتة ، كما نجح في دحر الافغانيين وطردهم من فارس ، وانطلق نحو إستعادة الممتلكات التي احتلّها الروس والعثمانيون[٢].

● قد يكون أمراً طبيعياً أن يحاول حاكم الفرس الجديد « نادر شاه » رد الاعتبار للدولة الفارسية المنهارة ، وذلك ممكن عن طريق منازلة غرمائه العثمانيين في الاناضول مباشرة (كما فعل العثمانيون عندما دحروا الفرس في عقر دارهم في جالديران عام ١٥١٤ م ، ولكنّ الذي حصل هو أن « نادر شاه » بعد أن أبى الاعتراف بمعاهدة (١٧٢٢) التي وقعها الشاه (طهماسب) مع الدولة العثمانية[٣] عمد الى غزو العراق ، ضمن سياسة عقيمة ، اتسمت بأبعادها التخريبية الواضحة .

لم تمض غير مدة قصيرة حتى كان « نادر شاه » على رأس جيش عرمرم في طريقه الى بغداد . كان ذلك في خريف ١١٤٥هـ/١٧٣٢ م . فقد بعث برسالة الى (أحمد باشا) - والي بغداد - يتوعده فيها وينذره بأنه زاحف نحو بغداد لاحتلالها ! حيث خاطبه قائلاً : (نحن سائرون حالاً على رأس جيشنا المظفر لنتنسم هواء سهول بغداد الجليل ولنستريح في ظل إسوارها) ! فاسرع أحمد باشا بتحصين مواقع الحدود في درنة ومندلي وبدرة ، وعزز حامياته في زهاب وقصر شيرين ، ثم أصلح مراكز

نادر شاه

الدفاع القائمة في سور بغداد[٦] وأمد المؤن وجهز القادرين على حمل السلاح تجهيزاً كاملاً . كما أرسل الوالي أحمد باشا - الذي أوتي من القدرة والكفاءة قدراً عظيماً - يطلب الامدادات من والي الموصل (حسين باشا الجليلي) الذي أمده بالف من الرجال الانكشارية[٧].

● لقد واجهت القوات الايرانية التي كانت تقدر بمائة ألف جندي ، مقاومة عنيفة خلال توغلها في الاراضي العراقية أجبرتها على التقهقر في عدة مناطق . وكانت تلك القوات قد توزعت عند دخولها الأراضي العراقية ضمن عدة محاور ، فتقدم قسم منها باتجاه كركوك - أربيل ، وقسم باتجاه الموصل ، في حين كانت القوة الرئيسة تواصل زحفها نحو بغداد ، وقد اضطرت القوات الايرانية في محوري كركوك - أربيل والموصل الى التقهقر بعد أن تكبدت خسائر فادحة ، وقتل قائد القوات المهاجمة للموصل[٨] المدعو (نوكز خان) وحمل المقاتلون الموصليون رأسه على رمح[٩] وبذلك استحقوا وصف السيد الرئيس القائد صدام حسين (حفظه الله ورعاه) بأهل الرماح[١٠].

طهماسب

حصار بغداد

● في مطلع سنة ١٧٣٢ كانت القوات الفارسية ، بقيادة « نادر شاه » تطبق على العاصمة التاريخية (بغداد) ، غير ان القوات الغازية واجهت مقاومة باسلة في مناطق مختلفة من العراق ، كان أبرزها المقاومة الشجاعة في (تكريت) . يقول المؤرخ رسول الكركوكلي:

(عند وصول قوات نادر شاه الى تكريت ، تصدى لها مصطفى باشا بشاركه السكان الفهاري على أعراضهم ودينهم)[١١].

● لقد بدأ (نادر شاه) بفرض حصاره على الجانب الشرقي من بغداد ، واستعان بمهندسي أوربي كان برافقه في حملته ، وفي إنشاء جسر عائم ، من جلود الخيل ، على بعد عدة أميال من نهر دجلة ، وإذا ذاك أمر (أحمد باشا) سكان جانب الكرخ بالانسحاب التام الى الرصافة ليكونوا في حماية سورها المنيع ، وفي غضون ذلك ، كانت ارتال من القوات الايرانية قد بعثها « نادر شاه » لاحتلال سامراء والحلة وكربلاء والنجف والحسكة[١٠].

● في أواخر رجب ١١٤٥هـ / كانون الأول ١٧٣٢ بدأ الحصار الفارسي لمدينة بغداد ، وفشلت محاولات عديدة لاقتحام المدينة ، وعمد « نادر شاه » الى قطع الطرق الموصلة بين بغداد والموصل وبين بغداد والشام ، وكذلك بين بغداد ومدن الفرات الاوسط . وواضح تماماً ان « نادر شاه » كان يرمي من وراء ذلك عزل مدينة بغداد وحاكمها المحاصر (أحمد باشا) عن قواعد التموين التقليدية . يقول كركوش الحلي :

(أنّ القوة الفارسية التي بعثها نادر شاه الى الحلة - جنوب بغداد - تمكنت من احتلال المدينة ، وقامت بقطع الطرق وقوافل الحبوب والاغذية عن مدينة بغداد . وبقيت القوة ترابط في المدينة وبضعة مواقع أخرى لحين توقيع الصلح بين الطرفين ، فانسحبت القوات الغازية وحلت محلها القوات العثمانية)[١١].

● لم يلق الحصار الشديد في عضد المدافعين ، وكانت معنويات البغداديين عالية . فقد كانوا مؤمنين بان القتال فرض عليهم وليس لهم الا الدفاع والصبر . ومن آثار الضيق الذي أسبغ عليه السكان في بغداد بسبب الحصار الذي فرض عليها ، أن أغلقت وبلات المجاعة شكلاً مروعاً ، فاكل الناس لحوم الخيل والكلاب والقطط ، وانتشرت الاوبئة ، وبلغت الحالة - كما يصفها الشيخ عبد الرحمن السويدي -في أثناء خروجه من المسجد ، بعد انتهاء صلاة الجمعة ، أنه شاهد في طريقه امرأة ملكبة على جيفة حمار وبيدها سكين تقطع من لحمه وتضعه في حجرها ، وبرغم ذلك فإن القيادة الايرانية حين دعت بغداد للاستسلام ، تلقت خطاباً شديد اللهجة من وجهائها وعلمائها ، جاء فيه : (نحن لا نسلّم حجراً من أحجار بغداد حتى نُقبر في مكاننا هذا ، وان ذخيرتنا كافية ، وعددنا كثيرة متواصلة المدد ، ولم يكن توقفنا عن مناوشتكم في بعض الايام دون حكمه ، وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون)[١٢].

أما القوات العثمانية المحاصرة ، فانها كانت تتطلع لنجدات السلطان ، وحالهم في ذلك حال الارض العطشى الى الماء[١٣].

● أحمد باشا (والي بغداد) حاول بتكتيك الحاد ، إقناع « نادر شاه » بالانسحاب ، فقد دفع بقوة من المغاوير للقيام بهجوم خاطف ضد القوات الفارسية ، وقد أفلحت القوة في توجيه ضربات شديدة الى القوات الغازية ، ولكنها اضطرت الى اللوذ بأسوار المدينة المحاصرة ، بعد أن تكبدت خسائر صعبة[١١].

● لقد كانت آمال « نادر شاه » بجدوى الحصار توازي آمال (أحمد باشا) بتجاوز هذه المحنة .

ونشط الخصمان المحاصِر والمُحاصَر في امتحان قدرات بعضهما

للبعض الآخر ، وذلك في محاولات متشابهة لتحقيق نتائج حاسمة . وادعى أن الوالي المحاصر (أحمد باشا) كان يشيع بين قواته أخباراً تفيد بأن الامدادات العثمانية أصبحت قاب قوسين أو أدنى[١٠٥]

● ومن طريف ماييروي عن هذا الحصار ، ان والي بغداد استقبل وفداً من معسكر الفرس ، وان الوفد فوجيء بوجود كميات كبيرة من المؤونة ممروضة على قارعة الطريق ، وقد أثير في حينه بان والي بغداد نجح في تضليل الفرس واقناعهم بان وقتاً طويلا سوف يمضي قبل أن يكون بقدرتهم إجبار المدينة على الاستسلام[١٠٦] .

● لقد اجتازت بغداد حالة الحرب والحصار والتجويع ، بفضل وعي السكان ومؤازرتهم للجهود المبذولة في سبيل الوطن . لقد كان الحصار امتحاناً للبغداديين جميعاً ، وقد أبلى في سبيل تجاوزه الغني والفقير على السواء[١٠٧] .

● في السادس من صفر ١١٤٦هـ/١٩ تموز ١٧٣٣ دارت معركة حامية بالقرب من (الدجيل) استمرت تسع ساعات متواصلة ، انتهت بهزيمة القوات الايرانية وتكبدها خسائر فادحة تقدر بثلاثين الف قتيل وثلاثة آلاف أسير ، إضافة الى فقدانهم لمدفعيتهم ومخازنهم ، وهرب قائدهم (نادر شاه) ومعه فلول قواته المنهزمة عن طريق (بهرز) باتجاه الاراضي الايرانية . وقيل بان الغنائم التي جمعت من المعركة ، كانت تكفي لتحصين وتسليح مدينة . أما بغداد التي مضى على حصارها سبعة شهور ، فإن حاميتها قامت عند وصول أنباء الانتصار بمهاجمة القوة الايرانية عند أسوارها ، فقتل معظم أفرادها وهرب الباقون[١٠٨] وزفت بشائر هذا النصر المؤزر في الموصل وكركوك والشام والاناضول .

الحصار الايراني في محور كركوك - اربيل

● بعد نحو ثلاثة شهور ، عاودت ايران عدوانها على الاراضي العراقية في محاولة يائسة أخرى ، لإزالة آثار الهزيمة التي لحقت بها في بغداد ، فعبرت قواتها الحدود العراقية ، وتقدمت أرتال منها باتجاه محور كركوك - أربيل ، وعند وصولها سهل (ليلان) جنوبي شرقي كركوك في الخامس عشر من جمادي الاولى ١١٤٦ هـ/ ٢٤ تشرين الاول ١٧٣٣ ، واجهت مقاومة عنيفة ، ثم دارت معركة حامية عند مضيق (آق دربند) ، أسفرت عن تكبد الطرفين خسائر فادحة . وقد اضطر (نادر شاه) الى طلب الصلح ، لاسيما انه تلقى اخباراً عن تفاقم الاضطرابات في مختلف أنحاء إقليم فارس بثورة للاطاحة بحكمه . وبعد مفاوضات استمرت أكثر من اسبوع ، عقدت معاهدة صلح في الحادي عشر من رجب ١١٤٦هـ/ ١٩ كانون الاول ١٧٣٣ بين الدولتين .

● غير أن أطماع ايران لم تحل دونها أية معاهدة ، إذ عاودت عدوانها على العراق مرة أخرى ، وتركز في هذه المرة على البصرة . ففي نيسان ١٧٣٥ دخلت الى شط العرب ثلاث سفن ايرانية كبيرة من نوع (الغراب) وخمسون سفينة كبيرة من نوع (الترانكي) ، إضافة الى قوة ايرانية برية مؤلفة من ثمانين ألف جندي ، بدأت بالتقدم أعلى النهر ، وعند الجزء الضيق من شط العرب ، اسفل البصرة بخمسة عشر ميلاً ، دار قتال عنيف لمدة ثلاثة أيام انتهى بانسحاب القوات المعتدية[١٠٩] .

عندما انتهى الحصار بهدنة مؤقتة

● ان المعاهدة التي توصل اليها العثمانيون والفرس في سنة ١٧٣٦ لم تكن غير هدنة مؤقتة ، ولذلك فإنه لم تمض سوى فترة قصيرة على توقيعها حتى اسرع الفرس الى خرقها ، كما بدأوا سنة ١٧٤٣ حملة جديدة على العراق (عرفت بحملة مابين النهرين) .

● لقد كانت العلاقات السياسية بين الدولتين ، العثمانية والفارسية ، تعبيراً أكيداً عن النزعات العدوانية التي يبيتها الطرفان ، بعضهما للآخر ، على أن الاذكى من ذلك هو قصور الفرس عن ادراك أبعاد سياستهم التدميرية تجاه العراق .

● على أية حال ، فقد أظهرت الرسائل المتبادلة بين (نادر شاه) و(أحمد باشا) الذي أعيد لولاية بغداد من أجل مواجهة الهجوم الفارسي الجديد بان الشاه كان يحاول إغراء الوالي العثماني للانقلاب على العثمانيين .

● في هذا السياق ، الح (نادر شاه) على (أحمد باشا) وأكد له بان وضع الوالي على رأس حكومة بغداد لن يتغير فيما إذا سلّم بغداد للفرس ، كما أكد له بانه لا يدوي السوء تجاه بغداد والبغداديين ! وان أحمد باشا بوسعه أن يكفل أمن الجميع بتسليمه البلاد[١١٠] ولم تنطل خطة (نادر شاه) وخدعته على الوالي (أحمد باشا) بطبيعة الحال .

● وبرغم تضارب الروايات حول الرد الذي أرسله أحمد باشا الى الشاه[١١١] الا أننا نستطيع القول بان أحمد باشا كان يدرك الابعاد الوطنية لمقاومة بغداد بوصفها الطاقة الكامنة التي حفظت له مركزه السياسي ، بوصفه رجل سياسة ناجح وقائد محنّك . ولذلك فإن الذي نرجحه - وهو أمر يبدو واضحاً من سياق الاحداث - ان أحمد باشا استطاع أن يخدع نادر شاه ويوجره الى مجابهة شاملة ، شنت فيها جيوش الشاه في العراق بأكمله[١١٢] وكانت الموصل مسرحاً لهذه المجابهة الحاسمة .

من ذيول حصار الموصل

● في سنة ١١٥٦ هـ/١٧٤٣ شنت ايران هجوماً واسعاً على العراق ، حيث عبرت قواتها بقيادة نادر شاه نفسه ، وكانت تقدر بمائة وسبعين الف جندي ، عبرت الحدود من جهة منذلي وشهرزور ، وتقدمت باتجاه محور كركوك - أربيل ، ولما كان هدف القوات الايرانية الاستيلاء على بغداد ، فإن خطتها كانت ترمي الى السيطرة على الموصل أولاً ، وذلك لقطع خطوط المواصلات بين القيادة العثمانية وبغداد ، مما يسهل احتلالها من قبلهم ، لذلك ، واصلت تلك القوات تقدمها نحو الموصل ، التي كانت قد تسربت إليها أنباء من القوات الايرانية نفسها عن الخطة المبيتة ، فاستعدت للدفاع عن حياضها بحماس شعبي منقطع النظير ، وحيات الخنادق ، وأصلحت الاجزاء المتصدعة من سور المدينة ، وحشدت القلاع بالمدافع ، وتجهزت بالذخيرة اللازمة[١١٣]

● في ١٤ رجب ١١٥٦هـ/١٢ أيلول ١٧٤٣ ، تقدمت قوات (نادر شاه) نحو مدينة أربيل فخربتها وفتكت باهلها فتكاً ذريعاً ودمرت قراها . وفي الوقت عينه ، حاول (نادر شاه) إرهاب أبناء الموصل بفزوه لاربيل ، مذكراً أياهم سوء العقاب الذي ينتظرهم أن هم رفضوا الانصياع ولم يستسلموا لقواته . وأوعز إلى « ملا باشي على أكبر » رئيس ماكان يسمى بعلماء ايران أن يكتب لاهل الموصل ، يرغبهم بالاستسلام ليوفروهم من عاقبة المقاومة ، فكتب (ملا باشي) الى مفتي الموصل (يحيى الفندي

الفخري) :

(اعلموا أنا جند الله ، خلقنا من رحمته وغضبه ، فالبشرى لمن اتبعنا وهوانا ، والنذرى ثم النذرى لكل من خالفنا وعصانا ، أو ليس لكم من اثار الماضين تبصره وتعتبر ؟ ألا فتذكروا أخبار الهند والسند والترك في النموذج الذي وصل إليكم من وقائعهم وملاحمهم ، وحقائق جرائمكم من أهل كركوك وما والاها ، كيف تمنّعوا فتدمروا ، ثم أطاعوا فنجوا ، منهم نوو الحظ في جلباب أمن وأمان ، وشذقة ودعة واستئناس « ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة » ... لا تقدرون على الدفاع ... عما تعرضوا أعصاركم للانقطاع ، وليبلغ الشاهد منكم المستمع لكتابنا الغائب ، والسلام) .

● بعد اطلاع (حسن باشا الجليلي) والي الموصل على عنجهية (نادرشاه) نصب خيمة في ظاهر المدينة ، قرب الجامع المجاهدي على دجلة ، ودعا الناس للاجتماع ، لاطلاعهم على تلك الرسالة الفارسية المشحونة بالتهديد والوعيد ، وطلب منهم إبداء الرأي والمشورة واتخاذ القرار . فصاحت الجموع المتحشدة بصوتٍ واحد ، معلنة استعدادها التام للذود عن حمى الوطن ، والوقوف بوجه الطاغية الغازي « نادرشاه » بكل عزم وثبات ، وإن أحب نادرشاه الموت فليهتكم . ثم طلب والي الموصل من المفتي (يحيى الفخري) أن يكتب لنادرشاه على لسانه ولسان أبناء الموصل خطاباً شديد اللهجة ، بليغة عربية فصيحة تعبيراً عن اعتزاز المدينة بعروبتها وبتراثها . ومما جاء في ذلك الخطاب : (بسم الله ، وما اعتصامنا الا بالله ، ومن لاذ بكهف كفايته كفاه وحماه ... وصل كتابكم المرسل الى العامة المشتمل بزعمكم على الطاقة ، فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور ، مفتخرين به بانكم جند الله ، مخلوقون من الغضب ، « تبت يدا أبي لهب وتب ، ما أغنى عنه ماله وما كسب » .

فما وعيدكم عندنا الا كسرير باب أو كما ظنّ في لوح الهجير لُباب ، أترأيتهم ان القصاب تهوله كثرة الغنم ؟ أو الاسد الضشمشم يدهشه تراكم النقم ؟ تذكرونا بما فعلتم بالسند والهند مع أولئك العلوج ، وما سطوتم على الترك بقية ياجوج وماجوج ، وتدهشونا بما فتحتم من القسي كركوك وأربيل ، وترعبونا بامتثال هاتيك الاباطيل ، كلا ستعلمون ، ثم كلا ستعلمون ، الرفاع بالرفاع ، ونحن الأسود الضارية والسباع الكواسر العادية ، اسيافنا صقيلة ، وسطوتنا ثقيلة ، وحلومنا رزينة ، وقلوبنا كالحديد متينة ، وجلدتنا بحمد الله حصينة فلا سمعاً لكم ولا طاعة وأهلاً بالسعادة والشهادة هذه الساعة ، فما بيننا إلا ما صنع الحداد من سيوف جداد ورماح مداد ...[٢٠] هكذا قال (أهل الرماح) متحدين الغزاة .

● في ٢١ رجب ١١٥٦هـ/ ١٠ أيلول ١٧٤٣ ظهرت طلائع قوات (نادرشاه) بالقرب من قرية (بارمجة) شرقي دجلة على بعد (هاء خمسة كيلومترات عن مدينة الموصل ، فاسرع الوالي حسين باشا الجليلي بإرسال ثلّة من الخيالة يقدر عددها بثمانمائة مقاتل ، يقودها أحد الشاب عبد الفتاح بك الجليلي ، للتصدي للقوات الغازية ، وبعد قتال عنيف ، تمكنت هذه القوة من الانسحاب الى المدينة على الرغم من محاولة الايرانيين قطع طريق عودتها[٢١] وبعد أربعة أيام ، وصل (نادرشاه) وقواته الى (بارمجه) فمكسر فيها ، وأمر بنصب المعابر

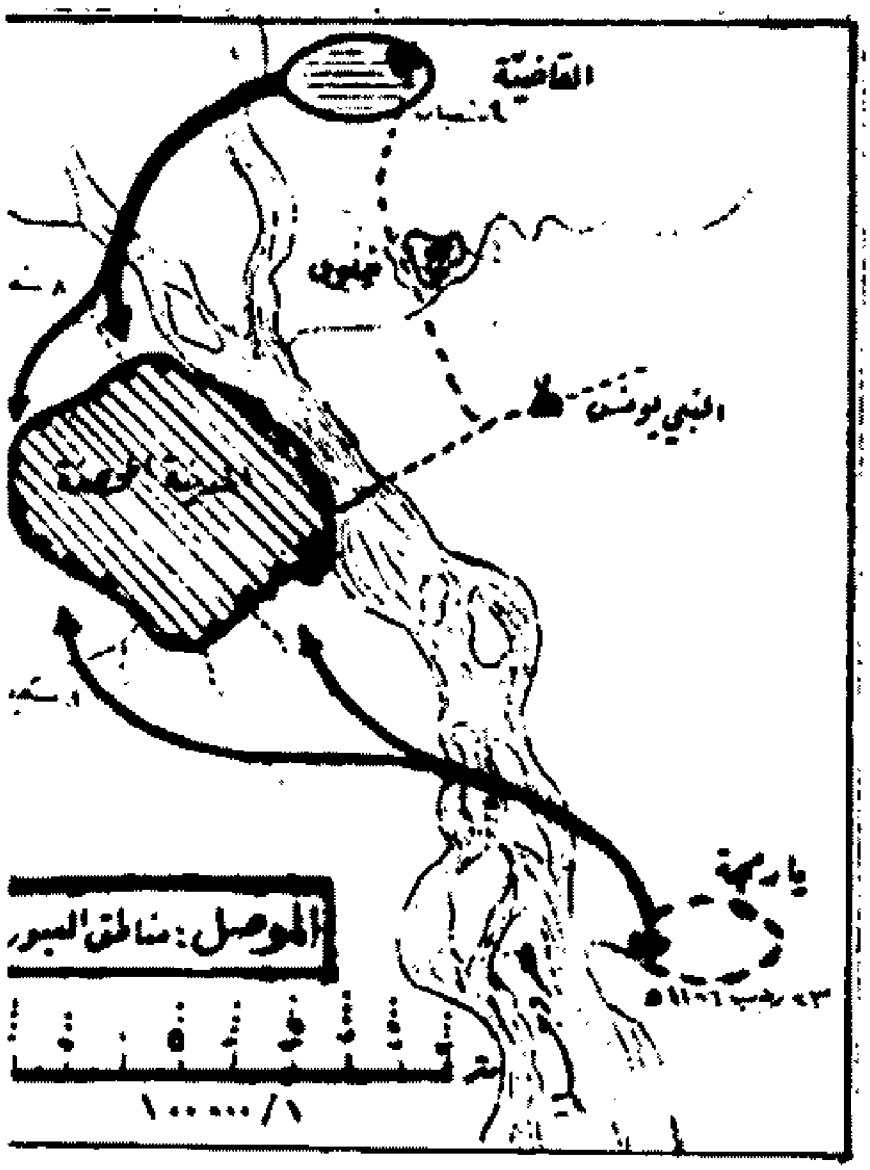

على نهر دجلة ، أعلى وأسفل الموصل ، وأرسل قسما من قواته الى الجانب الغربي من النهر ، كي يكملوا الالتفاف حول المدينة . وفي الوقت عينه ، بعث رسولا الى الوالي (الجليلي) محذراً إياه من بطشه[٢٢] ويخيره أنه طوق المدينة ، ويطلب منه أن يستقبل الرسول بالطاعة والاذعان والا سيكون مصير الموصل محتوماً ، وستسفك الدماء ، ويقع على أهلها دار غضبه . فردّ الوالي الجليلي على رسالة نادرشاه رداً عنيفاً متحدياً تجبره وتعاديه في البغي والعدوان ... جاء فيه : (ما بيننا وبينك الا السيف والسنان ، فلا تعاودنا ، بالرسل والتهديدات وان أتانا منكم رسول آخر لاعيدنه اليكم جثة بلا رأس ، فتقدم ولا تبطىء ، ولا يطلع الصباح حتى ترى)[٢٣] .

● توجهت القوات الفارسية ، بعد أن تجاوزوا بالمدينة تماماً ، بإقامة المتاريس والاستحكامات ، حيث شيدوا في مواجهة ابراج سور المدينة ، اثنى عشر برجاً تحتمي بها مدفعيتهم التي كانت تتكون من (١٦٠) مدفعاً ثقيلاً و (٢٢٠) مدفع هاون . وقد فتحت هذه المدافع نيرانها مرة واحدة في ٦ شعبان ١١٥٦هـ/ ٢٥ أيلول ١٧٤٣ ، ولمدة ثلاثة أيام بلياليها على مدينة الموصل ، دون توقف ومن كل الجهات ، فتصدع السور في عدة أماكن ، لكن المدافعين الذين كانوا مسلحين بالايمان ، كانوا دائماً يتمكنون من أصلاح الثغرات قبل ان يجد الفرس سبيلاً الى النفاذ خلالها . ويتصف المصادر كيف أن قنابل المدفعية الايرانية (كانت تهاراً

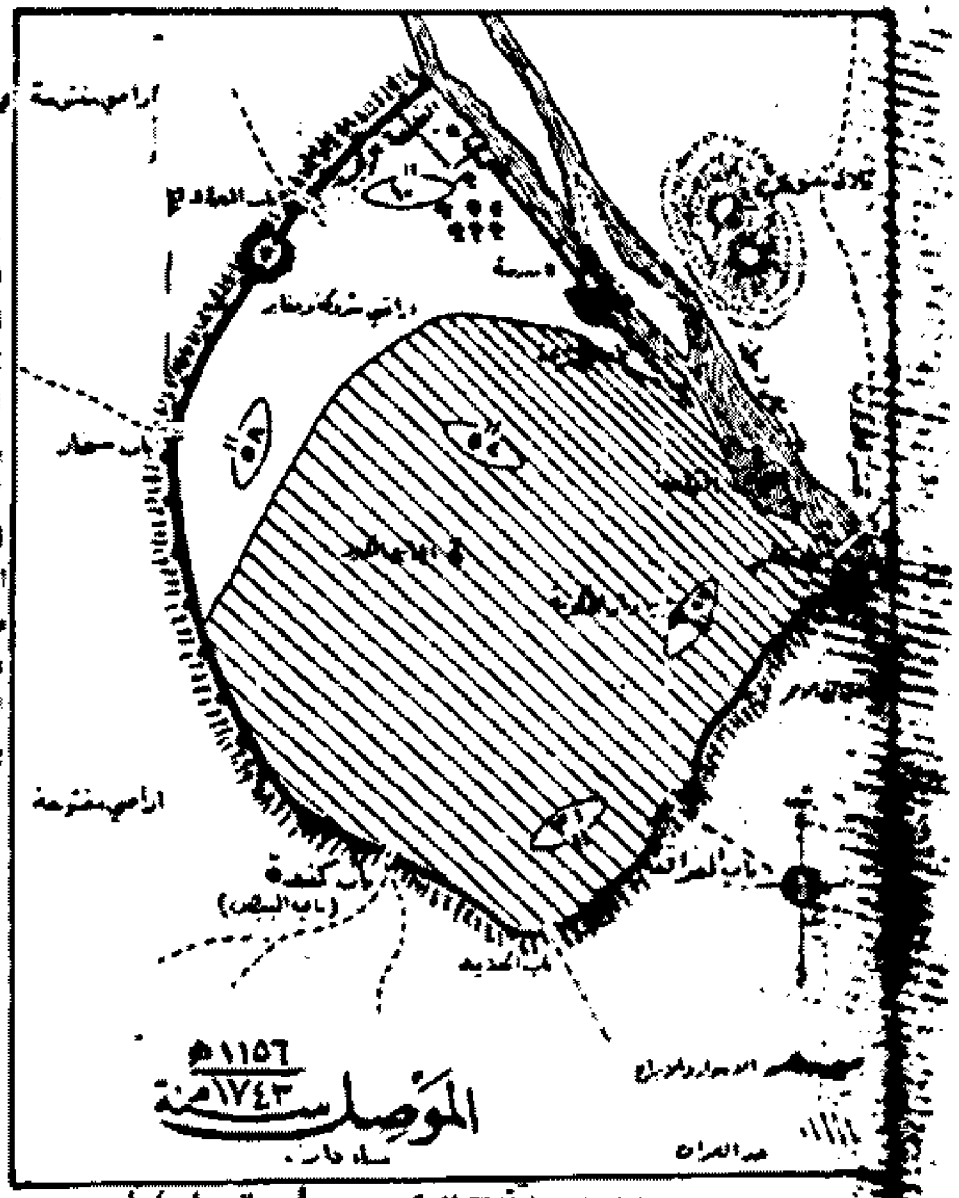

فقط على الأسوار كالمطر ، وقليلاً تتناثر كتجوم من أديم السماء) ولم تؤثر في عزيمة أهل الموصل وصمودهم ، وهذا ما جعل « نادرشاه » يحول مقر قيادته من (ياردجة) الى موقع قريب من المدينة ، ليشرف بنفسه على القتال ، فأمر بقصف مدفعي شديد لبرج (باش طابية) في شمالي الموصل ، حيث مقر الحكومة ، فتمالت من البرج أصوات التكبير ، وأجابت مدفعيته بإطلاق النار على المهاجمين ، بيد أن غزارة القصف أدت الى تهدم جانب من البرج ، لكن المجهودات المقاومة التي بذلت ، أحكمت البرج من جديد[٢٦] .

وصلت أنباء تقدم (نادرشاه) قبل الهجوم على الموصل ، فأعدت الجهود لمقاومة للدفاع عن المدينة . وقبل وصول (نادرشاه) الى الموصل بمدة مناسبة ، كانت المدينة تموج بالحركة والهياج ، على عكس مدينة بغداد التي واجهت أنباء تقدم (نادرشاه) بالهدوء ، فقام (أحمد باشا) بإجلاء قسم من السكان للمساعدة في المقاومة الكافية للدفاع ، فإن والي الموصل (حسين باشا) أغلق أبواب المدينة لاستقبال (أفواج اللاجئين) من القرى المجاورة بفكر بأن هؤلاء اللاجئين قدموا للموصل التموينات والذخائر التي كانت المدينة بأمس الحاجة اليها)[٢٧] وقد عبرت هذه الجملة الحقيقية للموصل آنذاك . ومن المعتقد أن والي الموصل كان يعلم بأن امكانات المدينة للدفاع والصمود كانت محدودة ،

فقد ، فإنه استنفر العشائر المحيطة بالمدينة لتسهم في الدفاع عنها جنباً الى جنب مع قوات الولاية وسكان المدينة ... ويذكر أن العشائر كانت من القبائل العربية والكردية والتركية القاطنة في المناطق المجاورة لمدينة الموصل . ويذكر أيضاً بأن الوالي الجليلي - ألقى خطاباً بين المدافعين ، أخذ خلاله العهد من الجميع بقتال الغزاة حتى النهاية[٢٨] .

● من ناحية أخرى ، فقد أثمرت جهود العناصر التي دخلت المدينة في تنظيم الاسوار والحصون وحفر الخنادق وإجراء الماء فيها . ويقال بأن الوالي - الجليلي - وشراء المدينة اشتركوا في أعمال التحصين[٢٩] حيث كانت الموصل عندما وصلها (نادرشاه) قد بلغت درجة كافية من الاستعداد للمواجهة [٣٠] والتحدي .

● لقد برهنت أولى المعارك التي جرت خارج مدينة الموصل على أهمية الاحتماء بأسوارها المحصنة في أكثر أجزائها تحصيناً جيداً . وقد حاول « نادرشاه » منذ بدء الحصار امتحان ثقة الوالي واستعداداته فعرض عليه الاستسلام كي تسلم المدينة من التدمير ويسلم المحاصرون من الهلاك . ولكن تهديداته تلك جوبهت بالسخرية من لدن المحاصرين - وكانت إجابتهم التحدي[٣١]

قام الحمام على البازي يهدده
واستصرخت بسواد الغاب أضبغة
يامن يصيد فم الافعى بأصبعه
بكفيه ما قد يلاقي منه .. إصبعه

● لقد دفع تحدي الموصل المحاصرين بنادرشاه الى تشديد الحصار ، كما قامت مدفعيته بقصف المدينة قصفاً شديداً ليلاً ونهاراً ، ثم أصدر « نادرشاه » أوامره بالهجوم على أبراج السور كافة ، وحاولت القوات الغازية تكثيف هجماتها على بعض المناطق الواهنة من سور المدينة ، ولكنها زلت على الاعقاب . وبلغ من شجاعة المدافعين أنهم سدوا الثغرات بالمتاريس من جثث الشهداء الذين فضلوا الموت عند الأسوار حتى لا يسمحوا للعدو بالمرور[٣٢] واقتحام المدينة .

● أما المجهود الحربي لنادرشاه ، فقد وصفه صاحب (منهل الأولياء) فقال : (باشر نادرشاه بضرب المدافع على البلد ، فكان يوماً عبوساً قمطريرا ، بحيث يرى الناظر ان السماء أمطرت ناراً على الأرض ، وهاجت الحرب وماجت الأرض ، وعلا الصراخ ، وكثر الوعيد كالصواعق - وأما القنابر =[قذائف الهاونات واحدتها قنبرة] ، فإنها اشتبكت في الجو مثل النجوم الزاهرات ، منقضاتٍ في جوّ السماء حوالي البلد كأنهن أشطان بئر)[٣٣]

ويقال بأن عدد القنابل التي ألقيت على المدينة والأسوار ، بلغت (٥٠) ألف قنبلة في الأيام الأولى من احتدام المعارك[٣٤] كما سقط خلال مدة الحصار (١٠٠) ألف قذيفة على أحد أبراج المدينة المسمى (برج باشطابية)[٣٥]

● ولم تنجح محاولة الشاه في ثني العراقيين عن المقاومة بتحويل احدى شعبتي نهر دجلة ، وهو مورد أهل الموصل الرئيس ، في تحقيق هدفه . فقد شرب الموصليون مياه الآبار دون أن يؤثر ذلك في صحتهم وعزائمهم[٣٦] واصرارهم على دحر الغزاة .

● ولما أيقن (نادرشاه) ان حصاره للموصل لا يؤدي الى نصر حاسم ،

أمر بمضاعفة عدد المدافع والجنود ، وتركيز القصف على قلعة (باشطابية) وباب سنجار ، محاولاً تدمير الموقعين ليسهل الهجوم على المدينة . وقد أحدث القصف ثلمات في باب السور قرب سنجار ، بحيث يتسع لدخول الخيالة من الجيش الفارسي الى المدينة ، ولكن اهل الموصل البسلاء كانوا قد [illegible] وضعوا أكياساً مملوءة بالتراب لسد ما احدث ، القصف من ثلم في السور ، كي لا ينفذ الاعداء من خلالها الى المدينة .

● في منتصف شهر شعبان ١١٥٦هـ/٣ تشرين الاول ١٧٤٣ ، نقل الطاغية (نادرشاه) مركز قيادته من قرية (باريجة) الى قرية (القاضية) التي تقابل مدينة الموصل في الجانب الشرقي من دجلة ، نصب جسراً بين القاضية والموصل ، وعبر مع عدة آلاف من جيشه ليشرف بنفسه على ادارة العمليات .

● استشار (نادرشاه) أهل الرأي من جيشه فيما يقومون به ، وقد نفدت أكثر القنابل التي كانت مع جيشه ، ولم تُجدِ نفعاً ، كما فشل العدو العديد من جيشه ، وأهل الموصل صامدون ، واتفقوا على أن يقوموا بخطة عنيفة في الهجوم على المدينة كالآتي :

أ . أن يحفروا أربعة انفاق في سور الموصل ، اثنان منها شمالي المدينة ، واثنان في الطرف الغربي منها مقابل مسجد الشيخ (قضيب البان) – الواقع بظاهر الموصل ويقابل باب سنجار ويبعد عنه قرابة نصف كيلومتر – وذلك لكي يشعلوها عند الهجوم ، وأن يدبروا هذا الامر ليلاً . وفات على (نادرشاه) أن أهل الرأي والسداد قد حفروا آبار في لحف السور وستروها ، حتى اذا أُلقِم السور ، اندفعت قوة البارود الى الآبار ، فسلم السور .

ب . أن يعدوا الد سُلَّم توضعُ على السور ، لكي يصعد عليها جنود الغزو ، وكان في جيش (نادرشاه) من يتجسس عليهم ، ويعلم أهل الموصل بما يدبرون ، ومنهم « بدوي » ، وأما علم هذا بتدبيرهم ، وأن قنابلهم على وشك النفاد ، وانهم يحاولون آخر هجوم قوي يكون على السلالم ، ركب فرسه وأخذ يدور ظاهر السور ويغني :

ببشينا كن خلص
عجورنا كن تم
لكن بالكم بالكم
منْ الطويل الطويل
على البدن يندم[١٠]

ولم يكن الفرس يعلمون بما كان يقصده (بدوي) وحسبوا انه يحرض جيشهم على الثبات والحرب ! وكان الموصليون يعلمون بما دبره العدو .

ج . أن يضعوا (اكياس من نسيج الشعر) تعرف بـ(الدراقر) ملأوها بالتبن حول السلالم لكي يشعلوها عند الهجوم ، فيستر دخانها من على السلالم .

د . أن يضاعفوا القصف بشدة لكي يشغلوا أهل المدينة والمحاربين عما يقومون به من هجوم .

هـ . اختار « نادرشاه » خمسة آلاف من جنوده الأقوياء وجهزهم بالخناجر والسيوف ، لكي يصعدوا على السلالم ويفتكوا بالمدافعين .

و . أوقف « نادرشاه » ثلة من الخيالة وراء المهاجمين لكي يفتكوا بمن يفر من جيشه ، وكان هو مع الخيالة .

● لقد أعد « نادرشاه » هذا كله خلال أيام معدودات ، وعين يوماً للهجوم على الموصل تحت جنح الظلام ، وقصف المدافع الشديد . أما التدابير التي اتخذها أهل الموصل فكانت الآتي :

أ . زادوا عدد المدافعين في الجهة الشمالية من المدينة وفي غربيها ، وضاعفوا من عدد المدافع والبنادق ، وكمية كبيرة من القنابل والبارود .

ب . نقلوا حجارة كبيرة ، ثبتوها في أعلى السور ، ليلقوها على من يقترب من سور البلد .

ج . شحذوا السيوف والخناجر ، وكمنوا خلف السور ينتظرون هجوم الاعداء .

● وفي غلس الليل ، أمر « نادرشاه » بتنفيذ ما أعده للموصل من مر فاشتمل جنوده الالغام ، فجعل الله كيدهم في نحرهم ، حيث اشتعل الغمان اللذين وضعوهما في أساس السور ، شمالي المدينة ، وكان وبالاً عليهم ، فعادت قوة اللغمين خاسرة أما اللغمان اللذان نصبوهما قرب باب سنجار ، فلقد تسربت قوتهما الى الابار ، وفشلت هذه المكيدة ، وعادت عليهم بالسوء .

● وفي الوقت عينه ، ضاعف المدافعون القصف على السور والمدينة ، وأشعلوا اللهب الذي كانوا قد أعدوه تحت السور قرب السلالم ، وصعد المهاجمون على السلالم ، فاستقبلهم أهل الموصل بالسيوف والخناجر ، يضربون رؤوسهم ويرمون بها الاعداء ، وكلما تقدم من الاعداء جماعة ، لقوا حتفهم ، فارتبك جيش « نادرشاه » ، وراح الغزاة يلوذون بالفرار ، فاعترضهم جند الموصل المحاصين بالخنادق والرصاص ، وأكثروا فتكهم في الخندق الذي كان يحف بالسور (بعرض ٥٠ قدماً وعمق ٢٠ قدماً) . ثم نزل الموصليون الى من سَلِمَ من الاعداء ، وفتكوا بهم ، فكان أكثر المهاجمين ، وكان « نادرشاه » مع الخيالة ، يصد جنوده الفارين بالقوة والقتل ، ويحرضهم على الثبات ، لكن المنهزمين شقوا طريقاً لهم بين الخيالة واستمروا بالفرار الى قرية (القاضية) ورجع نادرشاه خائباً مهزوماً[١١] وكانت حصيلة قتلى جيشه جنوده تملأ الخندق وما يحف به .

● لقد وصف الشعراء والكتّاب هذه المعركة العنيفة ، وما قام به ابطال الموصل من أفعال بطولية ، للذود عن هذه المدينة الباسلة . ومن ذلك ما قاله (الشيخ فتح الله القادري) في ارجوزته التي وصف بها المعركة من أولها الى آخرها :

تزاحفت أجنادهم جميعاً
قد ملأوا الآبار في الوغاء
نو سُلَّم قد قصد التسلقا
كم تسمعوا الضجيج فوق السور
تظن حقاً قامت القيامة
والصيحُ قد عاد كليلِ داج
وقد علا من حولنا الصياح
..فتنتظر الرصاص من سورنا قد
فسولوا الاعقاب بالفرار
تطاير الرؤوس والكفوف
فامتلأ الخندق من اشباحهم
من سورنا شجعاننا قد نزلوا

تبادرت لدحرنا سريعاً
ليجعلوا ذلك كالورقاه
وفيره قد طلب التعليقا
كذلك الاطفال في القصور
ما منا شخص أمن السلامة
من شدة النقع ومن عجاج
تفانت الارواحُ والاشباحُ
أفنى رجالاً مثل سيلٍ إذ زفّ
وانقلبوا صرعى على الابار
تساقط المشاة والاثوف
الى الجحيم سير في أرواحهم
كم كافرٍ من فجّر قد قتلوا

وأحرزوا التفنك والسيوفا ... نصبت الرؤوس كالتلال
فانكسرت شوكة (طهماز) وقد ورمحه الثاني جريحاً قد رجع

وقطعوا الرؤوس والكفوفا سبلالم صارت كما التلال
عاد برمح جنده لقد فقد وقلبه من شدة الغيظ انصدع

الخ ...[٢٠]

● لقد وجد « نادرشاه » أن ثبات أهل الموصل وصمودهم ، أسطورة من الاساطير ، وأدرك عدم جدوى القتال ، وخاصة بعد أن تكبدت قواته الكثير من الخسائر ونفدت مؤونته ، فاضطر الى طلب الصلح ! وأرسل سفيراً الى والي الموصل يحمل رسالة يطلب فيها ان ترسل الموصل رجلين من العقلاء للتباحث في أمر الصلح والانسحاب . وكان الجواب – الحاسم : (ان مدينة الموصل الباسلة قد أعطت الشهداء البررة ، دفاعاً عن الدين وتراب الوطن ، فلا ترسل رسولاً ولا تكتب كتاباً) . وعاد رسول الطاغية (نادرشاه) خائباً بعد أن شاهد بنفسه قوة المدافعين ومتانة مواقعهم داخل القلعة . وحاله جريان الامور بصورة طبيعية فدلل على (نادرشاه) ما رأى : (اننا كنا نظن مابقي في الموصل ناراً محمورة من عظام القنابل التي القيناها عليهم ، فلما دخلت البلدة ، ماشاهدت فيها أثر قذيرة ، ولا أثر قنبلة أبداً . وما لاقيت منهم أثر ملل ، وإنما هم كامثال الاسود الضواري) ، وهذه شهادة من عدو ، (والفضل ما شهدت به الاعداء) .

● وازاء هذا الوصف الدقيق لأهل الرماح البسلاء ، دهش (نادرشاه) ، فكتب كتاباً آخر الى والي الموصل – حسين باشا الجليلي – اكثر تواضعاً والتماساً ، يطلب رجلين من المواصلة للمفاوضة . فقرر الوالي ارسال قاضي الموصل والمفتي (علي أفندي الغلامي) و(قرة مصطفى بيك) . وعند وصول الوفد الى مقر قيادة نادرشاه في (القاضية) – حيث كانت هنات الضربة القاضية – تفاجأهم بالبشاشة ، وأثنى على المدينة وثباتها ، وقال لهم : (انا في الاصل ، ماكان لي دعوى مع أهل الموصل ، ولكن كان مرادي تصحيح عقيدتي واظهار ماهو حق) !!

● وبعد أن تم الحوار بين الطرفين ، أهدى مفتي الفرس (الملا علي أكبر باشي) للوفد الموصلي ان (نادرشاه) يرغب ببعض الخيول العربية الاصيلة هدية له ، وفهم الوفد الموصلي من ذلك ان تحقيق هذه الرغبة لبعود « نادرشاه » متفاخراً بالخيول العربية أمام عساكره !

● ولما عاد الوفد الموصلي الى الموصل ، وشرحوا للوالي والمحافظ مادار بينهم وبين نادرشاه ، أرسل حسين باشا الجليلي خيوله مع ابن عمه قاسم الجليلي ، وأرسل محافظ الموصل خيوله مع أحد رجاله المقربين إليه ، وكانت هذه الخيول تجوب ساحات الوغى كالريح العاصفة تحت فرسانها ، تلهب العدو ضرباً بالسيوف ، لتتذكر الغزاة بفعل الرجال الذين لقنوهم من على ظهورها أبلغ الدروس .

● في صبيحة الرابع من رمضان ١١٥٦هـ/٢٢ تشرين الاول ١٧٤٣ شرعت قوات الغزو الفارسي بمغادرة الموصل الباسلة ، وهي تجر أذيال الهزيمة والخزي والعار ، واضطر (نادرشاه) الى سحب قواته العسكرية من معظم المدن العراقية ، وعدل نهائياً عن حصار بغداد[٢١]

لقد كان يوم الانسحاب الفارسي من الموصل ، يوماً عظيماً في تاريخ المدينة ، فقد انتصرت الارادة الحرة وخابت ارادة الغزاة المعتدين . (ولم ترسل شمس اليوم الرابع من رمضان عام ١١٥٦هـ/٢٢ تشرين الاول ١٧٤٣ اشعتها الغرمزية على قمة البرج العالي « باش طابية » أثر البصولة والاقدام الا وكانت العساكر النادرشاهية تسير متجهة نحو الشرق ، بقلب هالع ، وقدم مرتجف ، وهي تلقي نظرة الوداع الاخيرة ، ملؤها الهيبة على مدينة كللتها أشعة الشمس الذهبية بأكمل الظفر والانتصار)[٢٢] .

أبعاد ملحمة حصار الموصل

● لقد كان حصار الطاغية الفارسي المتغطرس (نادرشاه) للموصل الحدباء ، جزءاً من سلسلة من تلك الحملات الطويلة المرتبطة بمحور واحد ، ودافع واحد هو احتلال العراق .

لذلك فمن المهم إيضاح وشرح ثلاث نواح حيوية ، نستلهمها من واقعة حصار الموصل وهي :

أ . البعد النفسي :

(١)

لقد وجدنا في ملحمة حصار الموصل جوانب لحرب نفسية حقيقية اعتمدت على المعنويات وعلى وسائل بسيطة ، لكنها مؤثرة في تسيير دفة المعركة وحسم النصر للمرابطين .

ومن البديهي أن يكون لكل حرب نفسية جانبان ، سلبي (في جانب العدو) وايجابي (في جانب الشعب المعتدى عليه) . وقد استفاد « نادرشاه » من بعض الامور لشن حربة النفسية لتمهد له اجتياح الموصل ، ثم اسقاط الدولة العثمانية يمكن تلخيصها في الآتي :

أولاً .

إستغل (نادرشاه) شهرته الحربية عندما اجتاح الهند والسند واحتل بعض المدن العراقية ، ولم يخف ذلك عندما أرسل أول كتاب له الى والي الموصل يحذره وينصحه بتسليم المدينة . ثم يلجأ إلى الإقناع المعسول ، إذ يختتم الرسالة بالتحذير من العقاب الذي ناله أهالي الهند والسند والترك واهالي كركوك وأربيل ، وينصح الوالي وأهالي الموصل (باستقباله لانه هو الشاه العادل الكامل الرؤوف والخاقان الاعظم المعطوف ، فهو معروف بهمته العالية – فلا تعرضوا أنفسكم لنزول نيران غضبه وشدة بطشه وسخطه) !!

وثانياً :

استند (نادرشاه) على دعايه سبقته عن شدة بطشه وقوة جيشه ، وضخامته ، والذي اجتاح المدن الكبرى والقرى المنتشرة حوالي المناطق القريبة من كركوك الى الموصل .

ثالثاً :

حاول الشاه الحيلة بعرض الصلح دون الوعد بكف الهجوم ، وكان يستعين بآيات من القرآن الكريم – كما كان يفعل هولاكو المغولي عندما شرع بمهاجمة العراق ، حيث كان نصير الدين الطوسي يكتب له الرسائل الملتهبة لتخويف الناس وترويعهم وتحطيم معنوياتهم قبل البدء

بالقتال – إن الاستعانة بآيات القرآن الكريم بغية فتّ عزيمة أهل الموصل ، والحامية ، واقناعهم بعدم جدوى القتال مثل : (وتعاونوا على البر والتقوى ولاتعاونوا على الإثم والعدوان) ، أو كما جاء في الحديث النبوي الشريف : (إن من فرّج عن أخيه المؤمن كربة فرّج الله عنه سبعين كُربة يوم القيامة ، ومن رأى أخاه في حفيرة فانجاه ، أنجاه الله من النار) .

رابعاً :

توهم « نادرشاه » بأن الموصل لاتختلف عن أربيل وكركوك والحلة والقرنة والبصرة من حيث ضعف ونقص استعداداتها ... وقد تعزز وهمه عندما وجد كركوك قاومت ثلاثة أيام فقط ثم استجابت لشروطه ، أما أربيل ، فقد وجدت في التسليم خيراً لاهاليها ، فلم تقاوم اكثر من نصف نهار .

(٢)

كان هذا رصيد الفرس في حصارهم للموصل ، فالمعنويات التي استند اليها « نادرشاه » كانت واهية واساسها الغرور والفطرسة والثقة في عدد المقاتلين وليس في كفائتهم الحقيقية وايمانهم بقضية راسخة ، عادلة ومشروعة !

(٣)

أما الحرب النفسية العراقية ضد « نادرشاه » وجيشه إبان حصار الموصل فيمكن إجمالها في الآتي :

اولاً :

كان نجاح قوات الموصل عام ١٧٣٢ في قتل قائد الحملة مساعد نادرشاه ، المدعو (فركزخان) الذي أرسله بثمانية آلاف جندي أثناء فك حصاره لبغداد وتشتت جنده قبل وصوله الموصل ، والرجوع برأسه الى المدينة محمولاً على رمح عام ١٧٣٣ ، كان تاريخاً قريباً مشجعاً ، إذ كان النصر والاعلام والتحيات وزغاريد النساء وقصائد الشعراء والادباء ، تتكر هذه المعركة ، وتعيش في أذهان الصغار والكبار ، إذ لم يمض على هذه الحادثة اثنا عشر عاماً فقط من ملحمة حصار الموصل عام ١٧٤٣ .

ثانياً :

ان اجتياح نادرشاه القرى المحيطة بالموصل ، وعلى طول مسيرته من كركوك إلى أربيل وحتى وصوله الموصل ، واعتداءه على الاطفال وسبيه النساء ، وتخريبه المزارع ، لم يثر الرعب بقدر ما أثار الحقد والمرارة والعزم على المقاومة بالتوجه الى مدينة الموصل كمثل دفاع ليشاركوا أهاليها في الحرب . فكان هذا التجمع المختلط من مختلف القوميات والاديان والمستويات ، كان ابرز تجسيم لوحدة وطنية في إطار روحية الدفاع عن الوطن الاكبر ، وفي انصهار الحماس والمعنويات في غاية واحدة هي ، ردّ دخيل مارق وماكر وغادر ، لا يقيم وزناً للانسانية وروحية الاسلام الصحيح أو الجيرة ، لذلك كان دفاع الموصل دفاعاً شعبياً مستميتاً بكل معنى الكلمة .

ثالثاً :

ان المتابعة المستمرة من لدن القيادة الميدانية لتدابير الدفاع والهجوم والحراسة والترميم والاسعاف ، وتوزيع الوحدات (تعبيتها تعبئة صحيحة) وشجاعة هذه القيادة وامتزاجها مع الاهالي بصفة المواطن المحارب ، قبل صفة الحاكم والامر والناهي ، وحنّت كلمة الاهالي وتنويهم ، وجعلتهم أمام مسؤولية مباشرة قومية ووطنية ، وليس مجرد أنفار محاربين في إطار تنظيم عسكري ، وكان هذا هو شعور الجندي النظامي ، وشعور المدني من الاهالي الذين تطوعوا جميعاً ، وامتثلوا لتوجيهات القيادة . ويلاحظ من تتابع الاحداث ووقعها أن ولاء الوالي واسرته كان للعراق والعروبة ، وقد أطلق عليها اسم « الحرب المقدسة » .

لقد كانت كفاءة الوالي وحسن تدبيره وشجاعته وسهره وحبه للموصل وأهاليها وتطوعه بنفسه وأولاده وأقاربه ، موضع تقدير الجميع وقد رفع من معنويات الاهالي ، فشخصيته القيادية وسمالة الفرسان والضباط والجنود كانت من روح الجماعة ومعها ، وبذلك ، أحرز والي الموصل تقريضاً وتمجيداً وتاريخاً لشخصيته الباسلة في كل ما كتب عن تاريخ الموصل في تلك المحنة . وكذلك ، كانت الموصل تستمد روحياً ومادياً للمعركة ، وكانت الموسيقى الحربية وسورات الباشا بين كُرات الخندق ، وبُناة السور المشتغلين باستمرار تلهب حماس الجميع وتحبب اليهم العمل .

رابعاً :

وصول نجدة والي حلب – رغم قلّة عددها ، أضفى على حرب الموصل شعوراً بوحدة المصير ، وتآخي أبناء حلب ضد أعداء العروبة والاسلام . يضاف الى ذلك ، قدوم نجدة من (٥٠٠) محارب كردي ساهم فيها حاكم (كوج باشا) حاكم كويسنجق ، مما أضاف عنصراً معنوياً جديداً الى المدافعين ، وهو أن الاكراد يرون في الهجوم الفارسي ، اعتداء على شرف الوطن والامة .

خامساً :

كان قرار الصمود والدفاع عن الموصل مثال الديمقراطية البرلمانية والشعبية . فقد جمع الوالي الاهالي في طرف المدينة الجنوبي الشرقي في الساحة المحيطة بالجامع المجاهدي ، وقرأ عليهم رسالة (نادرشاه) ، المليئة بالفظرسة والتهديد والوعيد ، وسألهم رأيهم فيما جاء فيها وموقفهم من (نادرشاه) . وقد أتركوا كتبه وغروره ، ولم ينخدعوا بما تظاهر به من إيمان وعطف ، فاجابوا جميعهم بصوت واحد : انهم مستعدون لما يأمرهم به الوالي وموافقون على رأيه في اقتحام غمار الحرب ، ولو كلفتهم إراقة دمائهم جميعاً . وفي ذلك يقول الشيخ فتح الله القادري في ارجوزة عن الوالي :

قد جفل الناس وأمشى الخبرا
أذاع فيهما بينهم ما قد جرى
وقال : يا ناس ألا فاجتمعوا
وحال كركوك وأربل اسمعوا
فقال : نحن أعمامي
نشد حزم العزم للاقدام

لقـــد أنت نـــوبـــة ذي الحـــدبـــاء
وانـــــه أبٌ بـــــلا مـــــراء
فنحن منكم ثم انتم منـــــا
فـــلا تخـــاوفـــوا فشـــلاً وجبنـــا
وعـــــرضكم عـــــرضي وانتم مني
وطفلكم طفلي خـــــذوا ذا عني
فـــواطنـــوا القلب على الثبـــاتِ
واخلصـــوا لله بـــالنهـــاتِ
فقـــومـــوا يـــاقـــوم على البـــروجِ
وهبـــوا يـــانـــاس على الخـــروجِ
فقـــامت النـــاس الى الســـلاحِ
وصـــاح فينـــا صـــائـــح الفـــلاحِ

وكان الجواب على كتاب الشاه موزوناً رزيناً مشحوناً بالثقة والمعنويات حيث جاء فيه : (فالعياذ بالله . أمن بعد إيماننا والمقاتلة دون أموالنا والمكافحة دون أولادنا وعيالنا يهولنا منكم شقايق النسان ويروعنا سحر البيان ووسوسة الشيطان وكثرة الهذيان ؟ ــ ورثنا عن آباء صدق ــ ونورثها إنا متنا للبذين) .

سادساً :

كانت كل عملية حربية ، وكل استعداد يقوم به الجند والاهالي يسهم فيه كل أفراد الاسرة الحاكمة وعشيرتهم . فقد جرى حفر الخندق حول أسوار الموصل بعملٍ جماعي من قبل الغني والفقير ، والشهير والمغمور ، وكان كل ضرر أو تخريب يحدث نتيجة القصف المدفعي يصلحه الاهالي ليلاً ونهاراً ، وفي الحال ، وفي أي مكان من الازقة والشوارع ، فتضافرت بذلك مجهودات الجميع من الجليليين الى الشحانين .

سابعاً :

ان انكشاف المكر السياسي السيء والمناورة الطائفية في أطماع (نادرشاه) التوسعية بافعاله وأقواله المناقضة لروح الدين الاسلامي الحنيف ، صار مفهوماً لدى العامة ، كذلك استصدر علماء الاسلام فتوىً مفادها (ان القتال ضد الفرس وأسرهم أمر حلال ، وان مطالب الفرس تناقض الدين الحنيف) وما استشهاد الموصل بالائمة وشعور الاهالي بانهم كانوا فرسان الإمامين علي والحسين (عليهما السلام)في اثناء حصار الموصل ، الا دليل على عدم قناعتهم بادعاء الشاه ، وعلى محبتهم وشدة تعلقهم بمبادىء واخلاص وسمو سلالة الرسول العظيم . وفي ذلك يقول خليل البصير :

هـــذا ولله جـــزيـــلُ الشكـــرِ
عـــلى النجـــاةِ وانـــدفـــاعِ الشـــرِّ
ثم من الصـــــلاة أزكيهـــــا على
جـــدّ الـــذين حـــوصـــروا في كـــربـــلاء

ثامناً :

لقد أخبر الوالي (حسين باشا الجليلي) سكان الموصل أن رسل الشاه دليل ضعفه وخوفه ، وليس بسبب قوته وتمكنه من الموقف ، ثم طلب إجراء خدعة حربية لاولئك الرسل ، وذلك بان يجمعوا القنائف ويخفونها في ساحات بيوتهم ، حتى إذا جاء رسل الشاه ، لايمكنهم معرفة الاضرار الحقيقية التي يسببونها لهم ، خاصة وان الترميمات تجري على قدم وساق من قبل فرق خاصة . وعندما سأل الشاه رسله عن الاضرار التي حلّت بالمدينة أجابوه (وقد انطلت عليهم الحيلة) بانها طفيفة ! وأنهم لم يروا (قنابر) و(قنائف) وانهم رأوا معنويات الاهالي عالية . وكانت هذه الشهادة مصدر استياء وخيبة أمل نادرشاه .

لقد كان المدخل الى فناء (كنيسة الطاهرة) [مريم] حتى قبيل الحرب العالمية الاولى (سنة ١٩١٤) مرصوفاً بقنابر الطائفية نادرشاه من مختلف الاحجام . ثم رفعت وصهرت واستخدمت موادها فيما بعد .

تاسعاً :

كان الوالي حسين باشا الجليلي يكافيء القادة والضباط ويكرمهم بالذهب والهدايا تقديراً لاعمالهم البطولية وشجاعتهم الفائقة .

عاشراً :

أما البدء بالذات وتكرانها ، فقد تجلى في الهجمات العضادة والغارات الخاصة والكمائن ، حيث كان أولاد الوالي وضباطه المقربون يقومون بها . وقد ذكر الشيخ القادري في ارجوزته انه كان أحد أعضاء تلك الفرق التي تقوم بهجمات ليلية عبر نهر دجلة لترعيب الفرس . وكان عصام الدين عثمان الدفتري المصري (مؤلف الروض النضر) أيضاً من أولئك الفرسان إذ يقول : (وكنت أنا أحد الفرسان وشاهدت من الهول عالم يذكر بلسان) .

حادي عشر :

ان الروح المعنوية العالية – الذ – تشبعت بروحانية دينية – تولدت عن ظواهر خارقة ، جعلت أهالي الموصل يشعرون بأن الله معهم ، وانهم على حق . والوقائع التالية التي انتشرت أخبارها بين الاهالي تعدُّ من عوامل رفع الروح المعنوية ، وتعزيز الحرب النفسية ضد هجمة (نادرشاه) . ومن هذه الخوارق :

● بعد أول معركة خاسرة بين عساكر الموصل وضد نادرشاه ، أراد متولي حضرة نبي الله يونس أن يرفع ماقي الحضرة من الفرش والبسط ، وكذا من الجامع ، فمنعه الوالي وقال دعه ، فعسى أن ياخذوا ما فيه ، فيغضب الله عليه ورسوله ، وان نقص منه شيء فعليّ تمامه .

● اعتقد الناس ان سينتهم الموصل ، مدينة مقدسة ومحمية ، لكثرة ما فيها من مراقد الانبياء (عليهم السلام) والاولياء ، مثل (النبي يونس ، ونبي الله جرجيس ، ونبي الله شيث ، والخضر) .

● وعزا البعض قوة المسوحيين من الاهالي المحاربين إلى وجود أرواح القديسين معهم ، مثل القديس (كوركيس) و(يوحنا) و(متي) ، ولذلك ، شيدّ الوالي كنائس جديدة ، وأعاد بناء وترميم كنائس أخرى .

● ومن أسباب ارتفاع معنويات الاهالي ، ما ورد من أن مريم العذراء حمت المدينة ، وان شفاعتها عوضت عن قلّة المؤن والعُدد ، إضافة الى غضب وثورة القديسين على الفرس الذين هدموا مياكلهم ومعابدهم . ويروي سكان الموصل انهم شاهدوا من سطح كنيسة العذراء الطاهرة

أشخاصاً يحمون المدينة ، ويرمون عمهاً القنابل ، مصوبينها جهة العدو .

ثاني عشر :

لقد بلغ الحماس والاقدام لدى الموصليين ذروته بذكر آيات من القرآن الكريم والاناشيد العسكرية (المهترخانة) وكانت الاهازيج سارية كل يوم وكان أهل الموصل في الليل أبان الحصار يقرأون شيئاً بالفارسي التركي يسمى « كلند » - وربما كلبند - كما هو عادة البنكجرية ، فاذا تمّ صاح كل من حضر بأجمعهم (أحمد الله) . وحكى من كان في عسكر نادرشاه ان العسكر اذا سمعها وقع في قلوبهم الرعب ، ويضيق بهم ذلك البر . وقيل ان نادرشاه ارسل حين الصلح أن يبطلوا هذا (الكلند) ، فابى أهل الموصل ، حتى رحل عنهم ، ويستدل من معلومات الشيوخ وكبار السن بان (الكلند) تعني النشيد أو الادعيات التي تمجد الجيش المدافع عن الموصل . ومهما يكن من شيء ، فإنّ الاناشيد من وراء الاسوار مع دقات الطبول والدفوف وأصوات الجموع ، كانت معنوية ، تقلق عساكر الفرس ، وتطرد النوم من عيونهم ، وتثير فيهم الجبن والهلع والتخاذل ، (وأهل الموصل على الاسوار مرابطين في الليل والنهار لا يفترون عن الاستغفار) قال القادري :

هـذا وكـل النـاس قـد تشجعـوا
بحـرز مـولاهم لقـد تـدرعـوا
وكم لهم في البـرج من صيـاح
(اللـه اللـه) - الى الصبـاح

ثالث عشر :

لقد كان كل تصادم ومواجهة يفشل فيها جنود الفرس ، تهزز معنويات الاهالي ، بعدما تكاد كفّة الميزان ان تنقلب أو يتصور الفرس انهم المنتصرون . وان كثرة القتلى والمصابين من الفرس لا يمكن تصورها مقارنةً بالخسائر القليلة بين صفوف محاربي الموصل . وقد كانت افدح خسارة هي في انفجار اللغم المعاكس ، والمعركة التي دارت على الاسوار وخارجها ، والتي قتل فيها من الفرس نحو خمسة آلاف وخمسمائة جندي . وفي تلك الليلة ضرب اللغم وهو من ناحية الشيخ قضيب البان غربي الموصل ، فزلّ الله كيدهم في نحرهم إذ ردّ نار لغمهم عليهم ، ولم يقتل من جند الموصل الا نحو سبعين أو مائة ونيف . وقد ذكر الرحالة (يحيى الكردي العراقي) في زيارته للموصل بعد سنة من المعركة وانحسار نادرشاه : (وبعد سنة أتيتُ الموصل اذا ورأيت آثار القتلى في أرضها كالارجل ... والايدي والاطراف وغير ذلك) كذلك ، يذكرالمهندسون الذي أشرفوا على حفر أسس كلية طب الموصل الحالية ، انهم وجدوا مجموعة من العظام والجماجم يعتقد أنها من بقايا قتلى جنود الفرس في تلك الجهة من سور الموصل قرب البرج المعروف باشطابية . ويذكر الشيخ القادري في ارجوزته ان رؤوس القتلى كانت كالتلول ، وان نادرشاه خسر ربع جيشه وجرح ربعه الثاني .

رابع عشر :

أما مشاركة المرأة في معركة حصار الموصل ، فقد كانت مشاركة فعلية ، بحماس عظيم ، وان عدم ذكر حوادث معينة ، ربما يعود الى مكان يحيط ذكر المرأة آنذاك من تحفظات تعد خروجاً على التقاليد أو الادب[١٩]

ب . البعد القومي والوطني :

(١) ان الشعور الوطني والقومي للعراقيين في إطار الامبراطورية العثمانية الاسلامية لم يكن غائباً أو مفقوداً عن حيّز الوجدان والضمير ، ان لم نقل في وعي المفكرين والنابهين والسياسيين الوطنيين . وبرغم إخلاص العرب والمسلمين للعثمانيين ، الا ان هؤلاء لم يعيروا البلاد العربية اهتماماً بالثقافة العربية . أما الصراع بين الفرس والعثمانيين الذي كان باسم الدين ، فهو من أسرار المناورات السياسية ، لكن أرض المعركة ووقودها كانت على أرض العرب ، ومن سكانها ... لذلك ، فإن قومية المعركة ، وروحية البناء والنهضة كانت متوقفة على مدى قوة الرباط الوجداني والوطني بين المواطنين وماضيهم العربي والاسلامي ، وبين القادة القلائل ، وشعورهم بالانتماء والمسؤولية نحو المنطقة العربية المزيزة أولاً ، قبل الولاء الثاني في الترتيب والاسبقة للباب العالي . وهكذا نجد براعة وجود شخصيات بعض الولاة في أيدن العراقية الرئيسة كبغداد ، والموصل والبصرة . ولا يمكن إخفاء نظرة الترك الى العرب بانهم أقل درجة ، وأحط قدراً ومنزلة . ان هذه الخلفية الفكرية والسياسية والاجتماعية لوضع العراق والبلاد العربية ، تعطي لحروب العراقيين ضد الفرس (ومنها ملحمة حصار الموصل) أهمية قومية - وطنية تتجلى في الاحداث والظواهر الاتية :

أولا :

أن دفاع الموصل عن أرضها وشرفها كان صورة مكثفة لشعور كل العراقيين ... ورمزاً للصلابة والتماسك الوطني والقومي ضد جيش معتدي . ويتضح من عجز (الباب العالي) عن نجدة الموصل ، وقلّة النجدات الاخرى من حلب ، أن جميع طبقات الشعب من حرفيين وعمال وفقراء وأغنياء ونبلاء وأقليات وطوائف بيئية استجابت الى نداء واحد فقط هو : الدفاع عن الموصل وعن العراق ككل .

ثانياً :

ان والي الموصل وأولاده وأسرته لم يشعروا بالخذلان أو الاحباط لعجز الباب العالي عن نجدتهم ، فاستجابة الاهالي ولجوء سكان القرى المجاورة إليهم ، والمشاركة الديمقراطية واختفاء الحواجز والتفرقة بين [illegible] أثار الشجاعة والنخوة العربية والوطنية لصدّ الهجوم ، فهو يشبه الدفاع الشعبي الذي دحر نابليون أمام أسبانيا وكذلك أمام روسيا .

ثالثاً :

لقد أطلق والي الموصل على ذلك الموقف (الحرب الوطنية) لان من شارك فيها كانوا عرباً وأكراداً وأتراكاً ، مسلمين ومسيحيين ويزيدية ، وموصليين مدنيين وفلاحين وبدو من الاطراف المحيطة بالموصل الذين فروا من شراسة (نادرشاه) .

رابعاً :

ان ظهور الشخصية المحلية القومية بين ظهراني شعب يحب وطنه ، وكان أحد مظاهر انبعاث الروح القومية العربية المستقلة نسبياً عن نفوذ الوالي العثماني . وكان لجوء سكان القرى المجاورة من الاكراد والنصارى

والزيدية الى الموصل عاملاً في اتحادهم وتصميمهم على القتال مع الجند ، بل أنهم أقاموا احتفالاً وتماهوا على القتال .

خامساً :

تميزت الموصل بحكم شبه ذاتي وشخصية محلية واضحة المعالم ، ثقافياً واجتماعياً وعمرانياً وسياسياً واقتصادياً . فهي شخصية الانسان العراقي التي تلمسها في بقية الولايات العراقية . ولم يكن التنافس بين ولاة الموصل وبغداد مثلاً الا تعبيراً عن الميل الى الاحتفاظ بهذه الشخصية المستقلة بدل الانصهار في ادارة مركزية عثمانية . وكانت الموصل من أشهر وأهم (باشويات) العراق منذ عام ١٥٣٤ م . لكن تطور الامور والاحداث ، جعل ولاية الموصل متميزة . وارتفع شأنها ونماؤها العمراني والثقافي والادبي خلال القرن الثامن عشر . وهي الفترة التي ساد فيها تواتر وتعدد ولاية أفراد الاسرة الجليلية . وكان أحدها خلال الحصار الرهيب على الموصل من قبل (نادرشاه) . وكان استقلال باشوية الموصل وشهرزور قد امتد طيلة القرن السابع عشر . كما ان نفوذ (ديار بكر) على الموصل قد زال منذ القرن السادس عشر . ولعل نجاح الحكم الجليلي في قيادة معركة الدفاع عن الموصل ضد الغزو الفارسي ، وفي كسب الدعم الشعبي للموصل أيام ولاياتهم . يرجع الى تفهم الروح الموصلية المحلية للروح العربية ، ولكون أهالي الموصل يضمرون التمرد والنفور من الحكم العثماني المطلق ، ويحنون الى حريتهم القومية .

سادساً :

كانت القبائل العربية غير مرتاحة ، وثائرة ضد الحكم العثماني ، وكذلك ضد أي تسلط أجنبي . فاجتياح (نادرشاه) لكربلاء والحلة والبصرة وسامراء ، وحصاره بغداد واحتلاله كركوك وأربيل ، وبطشه وغاراته وفتكه ، من عوامل بعث الروح الوطنية والجنوح الى الاستقلال والاتحاد . بل أن ثورة القبائل العربية ، تحولت الى وجهة النضال ضد الاستعمار والنضال القومي التحرري .

سابعاً :

يتضح من استعدادات والي الموصل وتوجسه من حرب قادمة منذ أن حاصر (نادرشاه) بغداد تسعة أشهر سنة ١٧٣٢ ولم يستطع دخولها ، ومنذ أن أرسل قائده ومساعده (تركزخان) سنة ١٧٣٣ مع قوة من ثمانية آلاف جندي لاحتلال الموصل ، باعتبارها مدينة (ضعيفة) ! ومن الفشل الذريع والهزيمة التي منيت بها تلك القوة على أيدي مقاتلي الموصل ، والتي غنمها (نادرشاه) ضربة قوية لسمعته وإهانة لشخصه وجيشه .. تلك الاستعدادات الدفاعية التي بدأ يفكر بها والي الموصل مدة طويلة من الحملة الثانية ، تدل على ادراك الاطماع الفارسية ورسوخ الحقد الفارسي الذي لايرعوي أو يتعظ . وكانت تلك الصادرات بمعزل عن توجيهات الباب العالي ، أي أنها نابعة من الاحساس الوطني ، والشعور بالخطر الذي يهدد المنطقة . وقد تركزت تلك الاستعدادات حول جملة فعاليات هي :

● حفر خندق حول أسوار المدينة . اشترك فيه الكبير والصغير ، والغني والفقير ، والعزيز والمغمور .

● حفر الآبار وتعمير بعض أماكن السور المتهدمة حين تحقق قدوم الباغي (نادرشاه) .

● توزيع الكراديس والقادة والمساعدين وتحديد أماكن العمل وتنسيق الواجبات ، وتقوية الاستحكامات .

ثامناً :

ان تبادل الاخبار والرسائل والاشعار والقصائد بين أدباء وشعراء الموصل وبغداد ومعارضتهم لبعضهم (شعراً) ، وتتبع أخبار الحصار ، وتسجيلها ، يدل على الرباط الوجداني القومي بين أجزاء العراق برغم تجزئته الى ولايات وباشويات . فارجوزة السيد خليل البصير[١٢] المؤلفة من (٦٩) بيتاً أرسلها الى السيد عبد الله الفخري كاتب الديوان في بغداد ، وصف فيها حصار نادرشاه للموصل ، ودفاع الوالي والاهالي . فأجابه عبد الله الفخري[١٣] بإرجوزة أطول منها ، عدد أبياتها (٢١٥) بيتاً . وقد أعاد خليل البصير صياغة ارجوزته العربية ، فكتب قصيدة تركية في ذكر الحصار (وهي مفقودة) . وارجوزة السيد عبد الله السويدي عارض بها ارجوزة السيد خليل البصير وبلغ عدد أبياتها (١٦٨) بيتاً .

لقد أصبح للشعر صبغة قومية . إذ تلاحم مع القضايا العامة المستقاة عن المفاهيم العثمانية السائدة ، فترعرت حركة إحياء الادب العربي القديم ، ونشأت مؤلفات بغدادية بنصرة جيش الموصل ، مثل (نوحة الوزراء) و(حديقة الزوراء) .

تاسعاً :

كانت وحدة المسلمين والمسيحيين في جيش مدافع عن الموصل من أبرز أحداث القرن ودليل وطنية وعروبة القتال ، وساعد على استقلاليتها شعورها بذاتها وكيانها ، وتمثيلها للعراق بعيداً عن (الباب العالي) . يقول الرحالة (نيبور) أن المسلمين شهدوا للمسيحيين بالشجاعة والصمود والحفاظ على روح النصر . ويبدو أن قسوة (نادرشاه) على سكان (القرى واعتداءه على الاديرة ، لم يكن مصدر ذعر للمواطنين ، بل حافزاً لهم على المجابهة والحرب والمقاومة فلم ينس الهاربون والفارون مافعله (تركزخان) سنة ١٧٣٢ في قرى متعددة ، وما فعله (نادرشاه) في أربيل بعد حصارها واستلاكها ، فقتل اغلب أهلها وسبى نساءها ، وما ترك فيحة الا وفعلها ، ثم رحل عنها الى الموصل ، كذلك ما فعله جنود (نادرشاه) في (ديرماراوراها) قرب قرية (باطنايا) إذ قتلوا القسس فيه ، ومنذ ذلك الحين أصبح الدير مهجوراً . لذلك فإن الفارين اللاجئين من أطراف الموصل ، دخلوها كحصن دفاعي ، ووجدوا في حسن استقبال الوالي والاهالي ورعايتهم لهم حافزاً وطنياً للقتال ، وقدم فعلاً تزويدهم بالسلاح والمؤن وشجعهم الوالي على القتال .

عاشراً :

ان عدم استطاعة الباب العالي ارسال معونة ونجدة الى الموصل ، أبرز الحقيقة التي بدأ يحس بها العرب وهي ان انحدار حاكم ايران لم يكن على يد جيوش الامبراطورية العثمانية بل من قبل جيش محلي سانده و شاركه شعب عربي مؤمن بوطنيته وولائه لمدينته ودياره ، وبوجود

حاكم من أهل المدينة نفسها . فالوطنية والقومية كانتا العامل الحاسم في الصمود والنصر[٥] في ملحمة الموصل الخالدة .

ج . البعد الداخلي :

أولاً :

لقد كان (مرض) الامبراطورية العثمانية وأطماع الغرس موضع تشخيص العالم الغربي منذ منتصف القرن الثامن عشر ، ومنذ أن بدأت ثورة أو تمرد (الياترونا خليل) مما أتعب السلطة العثمانية من الداخل منذ عام ١٧٣٠ ، وان العراق / بصورة خاصة / كان ساحة الصراع بين الغرس والعثمانيين ، لكن الدفاع والصمود والتضحيات ، كانت ملقاة على كاهل العراقيين أولاً (والعرب عموماً) ، وان أبعاد الزحف الفارسي نحو الشرق لم يكن مجرد نزوات أو نعرات طائفية ، بل جزءاً من حركة التاريخ في هذا الجزء من العالم .

ثانياً :

عَدَّ المؤرخون والنقاد السياسيون أن حصار الموصل من اهم أحداث القرن الثامن عشر لان الابعاد الحقيقية لاجتياح شمالي العراق ، واحتلال الموصل كان لغرض النفوذ الى قلب الاناضول وقلب الامبراطورية العثمانية ، ثم تغيير خارطة العالم وتوزيع مناطق النفوذ .

ثالثاً :

ان ضخامة حملة (نادرشاه) التي توجه بها الى العراق ، تدل على نياته التوسعية التي لا تتناسب مع حملة محلية أو محدودة . فقد قدر جيشه بما لا يقل عن (٣٠٠) ألف جندي ، وهو عدد يقارب من حيث الاهمية جيش نابليون الذي توجه به الى روسيا ، والذي بلغ تعداده (٢٠٠) ألف جندي . على أن العبرة ليست في العدد حسب ، بل في أطماع الشاه المغرور التي بانت في رسالة الانذار التي وجهها الى الباب العالي والتي يخاطبهُ فيها بقوله (أن يستعد لملاقاة جيش يحكم العالم)! وهذا هو منتهى الطموح والشره العسكري والسياسي .

رابعاً :

ان اهتمام (نادرشاه) ببناء اسطول بحري للتجارة في الخليج العربي وصرفه وتبذيره الاموال الطائلة لتحقيق ذلك كان لغرض النفوذ الدولي والمنافسة التجارية مع الروس والعثمانيين . وكانت الموصل احد المراكز التجارية المهمة

خامساً :

ان مهاجمة نادرشاه للموصل كان لازالة معقل خطير ، وفتح باب حيوي يقوده الى الاناضول وأوربا ، لان الموصل كانت مركز تقاطع خطوط المواصلات التجارية بين الهند وايران وتركيا فاوربا (عقدة مواصلات) .

سادساً :

لقد كانت الموصل حصناً عسكرياً له ستراتيجية مهمة ، والحقيقة انه منذ احتلال العثمانيين لشمالي العراق بعد موقعة (جالديران) سنة ٩٢٠هـ-١٥١٤ م استخدمت الموصل مباشرة كقاعدة لمقاومة الوجود الفارسي وصده في العراق ، ولتموين الحملات العثمانية المستهدفة استعادة بغداد وجنوبي العراق من قبضة الفرس . ولقد ثبت ان (نادرشاه) كان يفاوض (شركة الهند الشرقية) من أجل تعاون الانكليز مع ايران ضد العرب

وكانت حروب الخليج آنذاك سبباً في تعطيل تجارة العرب وعرقلة الشحن المنطلق من بغداد فالبصرة فالبحر[٩٦]

● وصفوة القول : هو ماسرّ ذكره في الصفحات السابقة (فحيا الله اهل الرماح كما وصفهم القائد المجاهد المنصور بالله (صدام حسين) حفظه الله ورعاه .

المصادر والمراجع

(١) . عبد الرحمن بن عبد الله بن الحسين السويدي : حديقة الوزراء في سيرة الوزراء - الجزء الاول (في سيرة حسن باشا) . تحقيق صفاء خلوصي . مطبعة الزهيم - بغداد /١٩٦٢ ص ٨٤ -٨٧
ب . د . عماد نورس : العراق في العهد العثماني - بغداد -١٩٧٩ ص ٦٣ -٦٧
ج . د . عماد الجواهري : مرجع سابق ص ١١٥
(٢) عبد الرحمن السويدي : مصدر سابق ص ٨٧ ومابعدها .
(٣) د . عماد نورس : مرجع سابق ص ١٤٩ -١٥١
(٤) السياسة السوفية الايرانية في العصر الحديث (ضمن كتاب : الصراع العراقي الفارسي) ص ٢١٨
(٥) د . عماد عبد السلام رؤوف : الموصل في العهد العثماني : فترة الحكم المحلي (١١٣٩ -١٢٤٩ هـ / ١٧٢٦ -١٨٣٤ م) النجف /١٩٧٥ ص ٩٩ ص ١١٥
(٦) د . عماد نورس : السياسة السوفية ص٢١٨
(٧) محمد أمين بن خير الله الخطيب العمري : منهل الاولياء ومشرب الاصفياء من سادات الموصل الحدباء . (تحقيق ونشر الاستاذ سعيد الديوجي) ج ١ (الموصل /١٩٦٧) ص ١٤٧
(٨) انسيد الرئيس القائد المجاهد صدام حسين (حفظه الله ورعاه) : من نص حديث سيادته خلال لقائه باهالي محافظة نينوى يوم ٥ /٨ /١٩٩١ والمنشور يوم ٦ /٨ /١٩٩١ ، في الصحف العراقية .

(٩) رسول حاوي الكركوكلي : تحفة الوزراء في تاريخ وقائع بغداد الزوراء (ترجمه عن التركية موسى كاظم نورس) بيروت /١٩٦٣ ص ٣٠
(١٠) د . علاء نورس : السياسة السوقية ص ٢١٩
(١١) يوسف كركوش الحلي : تاريخ الحلة - الطبعة الاولى - النجف -١٩٦٥ القسم الاول ص ١٢٢ .
(١٢) - د . علاء نورس : السياسة السوقية ص ٢١٩
(١٣) د . علاء الجواهري : مرجع سابق ص ١١٦
(١٤) ستيفن همسلي لونكريك : أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث (الطبعة الخامسة) ترجمة جعفر خياط بغداد ص ١٧١ -١٧٢
(١٥) رسول الكركوكلي : مرجع سابق ص ٣١
(١٦) المصدر نفسه ص ٣٢
(١٧) د . عماد الجواهري : المرجع نفسه ص ١١٧
(١٨) د . علاء نورس : السياسة السوقية ص ٢٢٠
(١٩) المرجع نفسه ص ٢٢٠ -٢٢١
(٢٠) أ . ياسين خير الله العمري : زبدة الآثار الجلية في الحوادث الارضية (تحقيق د . عماد عبد السلام رؤوف) النجف /١٩٧٤ ص ٨٩ -٩٠
ب . د . عماد الجواهري : مرجع سابق ص ١١٩
(٢١) عمد «أحمد باشا » والي بغداد الى الحيلة وأرسل الى «نادرشاه » يخبره بأن يسير أولاً الى الموصل لاحتلالها . ولي عودته يجد بغداد مفتوحة أمامه !! يراجع : سليمان الصائغ : تاريخ الموصل ج ١ ص ٢٧٨ الطبعة السلفية - القاهرة /١٩٢٣ ويذكر ياسين العمري في زبدته ان أحمد باشا أرسل الى نادرشاه يقول له (ارحل الى الموصل فإن ملكتها فنحن لك مطيعون) !

ويراجع العرض المفصل للاراء التي ذكرت في سبب عدم تعرض نادرشاه لاحمد باشا في اثناء هجومه على العراق سنة ١٧٤٣م في كتاب :
تاريخ العراق في العهد العثماني ١٦٣٨ - ١٦٥٠ م / ١٠٤٨ -١١٦٤هـ (دراسة في أحواله السياسية) اطروحة ماجستير . كلية الاداب - جامعة بغداد /١٩٧٩ص ٢١٧ -٢١٨
(٢٢) د . عماد الجواهري : مرجع سابق ص ١١٩ -١٢٠
(٢٣) د . علاء نورس : السياسة السوقية ص ٢٢٣
(٢٤) يراجع نص الكتاب الذي كتبه الملا باشي علي أكبر باسر نادرشاه الى مفتي الموصل يحيى أفندي الشهرزي سنة ١٧٤٣ م / ١١٥٦هـ في الملحق رقم (٣) من كتاب : العراق في العهد العثماني - للاستاذ الدكتور علاء نورس ص ١٣٧ -٣١٨ . علماً أن صورة الكتاب في مجموع محفوظ بكلية الاداب - جامعة بغداد تحت رقم (٤)
(٢٥) يراجع الملحق (٤) ص ٣١٩ من كتاب (العراق في العهد العثماني) للدكتور علاء نورس وفيه نص الكتاب الذي أرسله السيد يحيى أفندي الشهرزي - مفتي الموصل - الى ملا باشي علي أكبر رداً على كتابه السابق بتاريخ ١٧٤٣ م / ١١٥٦هـ . علماً ان صورة من هذا الكتاب في مجموع مخطوط ، محفوظ في مكتبة الدراسات العليا بكلية الاداب ببغداد تحت رقم (٤٤)
(٢٦) د . علاء نورس : السياسة السوقية ص ٢٢٢
(٢٧) المرجع نفسه ص ٢٢٢
(٢٨) منهل الاولياء ج١ص١٥٤ .
(٢٩) د . علاء نورس . المرجع السابق ص ٢٢٣
(٣٠) منهل الاولياء ص٣١٤ .
(٣١) د. عماد الجواهري : مرجع سابق ص ١٢٠
(٣٢) سليمان الصائغ : تاريخ الموصل ص ٢٨٢
(٣٣) د . عماد عبد السلام رؤوف : المرجع السابق ص ١٠٥ -١٠٦
(٣٤) د. عماد الجواهري : مرجع سابق ص ١٢١
(٣٥) انظر جوانب من كفاح الموصل اثناء حصار نادرشاه في المصادر الآتية :
أ . محمد امين العمري : منهل الاولياء ص١٥٤-١٥٦ .
ب . سليمان الصائغ : تاريخ الموصل ص ٢٨٣ -٢٨٤
ج . رحلة نيبور إلى بغداد في القرن الثامن عشر (ترجمة سعاد هادي العمري) بغداد / ١١٥٤ ص ١١٦
د . محمد حسين كدوسي : نادر شاه ، خراسان ١٣٢٩هـ (بالفارسية) .
(٣٦) منهل الاولياء ص١٥٤- ١٥٥
(٣٧) تاريخ الموصل ص ٢٨٤
(٣٨) المصدر نفسه ص ٢٨٤ -٢٨٥
(٣٩) د . علاء نورس : المرجع نفسه ص ٢٢٤
(٤٠) الدبشي : هو البطيخ الاخضر المعروف بـ(الرقي) وباسم (الشمري) في الموصل ، و(البندي) في تكريت . والدبشي هنا كناية عن القنابل الكبيرة التي كانت لدى العدو .

أما العجوز ، ومفرده عجوزة ، فيطلق على نوع من البطيخ الصغير الحجم ، والعجوز هنا كناية عن (القنابر) ، واسمائها (الذبرة) أي القذيفة الهاون بالاصطلاحات العسكرية المعاصرة .
(٤١) الاستاذ سعيد الديوجي : صمود الموصل أمام غزو نادرشاه سنة ١١٥٦هـ . مجلة (المورد) - المجلد الخامس عشر - العدد الثالث ١٤٠٦هـ -١٩٨٦ م ص ٥٩
(٤٢) تراجع أرجوزة فتح الله القادري حول حصار الموصل في كتاب : (حصار الموصل) لعبد الجبار محمد جرجيس ص ٥٢ -٧٠ (الموصل /١٩٨٢) والسيد القادري كان متولياً على وقف جامعي الذبي يونس وجرجيس وذو علم غزير ، واطلاع في الشعر واسع ، له قصائد كثيرة يؤرخ فيها حوادث مهمة وقعت في الموصل .
(٤٣) عبد الجبار السامرائي : أقل الرماح يتصدون لنادرشاه قبل ٢٥٠ سنة . جريدة (العراق) ص ٣ الخميس ٢٠ جمادي الاولى / ١٤١٤هـ - ٤ تشرين الثاني ١٩٩٣
(٤٤) سليمان الصائغ : تاريخ الموصل ص ٢٨٧
(٤٥) د . شكري الدباغ : ملحمة حصار الموصل وأبعادها النفسية والقومية والعالمية .
مجلة (آفاق عربية) - عدد نيسان ١٩٨٢ ، ص ٨٧ -٩٠
(٤٦) يراجع نص قصيدة البصير في دراسة المرحوم عبد الجبار العمر الموسومة : ملحمة حصار الموصل . مجلة (آفاق عربية - العدد ٨ نيسان ١٩٨١ ص ٣٨ -٤٠
(٤٧) (٥٣) في المرجع نفسه ص ٤٠ -٤٥ نص قصيدة عبد الله الشهرزي .
(٤٨) (٥٤) د . شكري الدباغ : المرجع نفسه ٨٥ - ٨٦
(٤٩) (٥٥) المرجع نفسه ص ٨٣ -٨٤